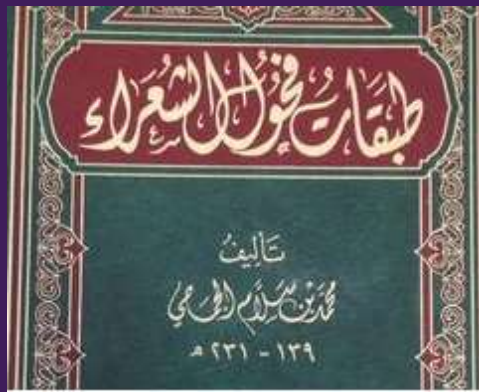


جامعة منتوري، قسنطينة 1  
كلية الآداب واللغات  
قسم الآداب واللغة العربية

الأستاذة أمال حليتييم  
[amelhalitim19@gmail.com](mailto:amelhalitim19@gmail.com)

## السنة الأولى ماستر أدب عربي قديم مقياس : تحقيق النصوص الفوجان 3 و 4

مقدمة محقق كتاب



### ٣ - بَابَةُ تَسْمِيَةِ الْكِتَابِ

فرغنا من صفة المخطوطتين ، فالآن بقي أمرٌ واحدٌ لا مناصَ من الحديث عنه في هذا الموضوع . وكان معلوماً أني سمّيت كتاب ابن سلام في الطبعة الأولى : « طبقات فحول الشعراء » ، وقد عاب ذلك عليّ كثيرٌ من أفاضل أهل العلم ، أولهم أخي وصديقي الأستاذ السيد أحمد صقر ، في نقده الكتاب بعد ظهوره ،<sup>(١)</sup> فقال :

« كما كنت أوتر أن لا يغيّر اسم الكتاب الذي عُرف به وذكر في أكثر الكتب والتراجم ، وهو « طبقات الشعراء » ، لا « طبقات فحول الشعراء » . وليس في قول ابن سلام : « فاقصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً » ، دلالةٌ على الاسم الذي اختاره الشارح ، لأنه قال أيضاً : « ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين ، فنزلناهم منازلهم ، واحتجبنا لكل شاعرٍ بما وجدنا له من حجةٍ » . وقول الشارح : « إن اسم ، طبقات

---

(١) كنت عزمت على نشر كل ما تقدمه أفاضل النقاد في آخر هذا الكتاب ، ولكنه طال ، فأعتذر إليهم جميعاً عن هذا التصدير ، وقد قبست من علم كل منهم ما قبست ، ولسبته لايه في التطبيق في بعض المواضع .

الشعراء ، ثوب فضفاض لا يطابق ما في كتاب ابن سلام ، لأنه لم يستوف فيه ذكر الشعراء ، يقال كذلك على الاسم الذي اختاره : طبقات فحول الشعراء . ولو اتخذنا فضفضة اسم الكتاب ذريعة إلى تغيير اسمه ، لبدلنا كثيراً من أسماء الكتب ، فإن أكثرها لا يطابق اسمه موضوعه . وهل يطابق اسم «الكامل» ، للبرد ، موضوع كتابه ؟ كلا ، فما أبين انتفاء هذا الكتاب عن نسبه ، وأشد منافاته لقبه . ( مجلة الكتاب المجلد الثاني عشر ، العدد الثالث : جادى الآخرة ١٣٧٢ ، مارس ١٩٥٣ ، ص : ٣٨١ ) .

وكان آخرهم الدكتور مصطفى مندور ، فإنه قال ، بعد ذكره أن المصادر القديمة مجمعة على أن ابن سلام اختار لكتابه اسم طبقات الشعراء : « ثم لما أراد الأستاذ محمود شاكر نشر الكتاب ، وجد في جملة ابن سلام التي قالها في مقدمته ذ « فاقصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ... » ، ووجد في بعض المواضع عند أبي الفرج الأصفهاني مثل قوله : « وذكره ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء » — مارجح عنده اختيار تسمية الكتاب : طبقات فحول الشعراء . ولست أظن أن عوامل الترجيح هذه تكفي مطلقاً للأخذ بهذا الرأي ، فلفظة « فحول » المذكورة في السياقين السابقين لا تحمل أية دلالة ، إلا أن تكون صفةً توضح نوع الاختيار ، أو الثناء على من اختارهم الجمعي . ولعلنا نستطيع أن نزيد على ذلك أن من بين الشعراء الذين يذكركم صاحبنا شعراء لا يصلون إلى مستوى الدرجة الثالثة التي كان الجاحظ يسعى الفرد منها : شويمراً ، أو شمروراً (١) . ولعل كنت أوثر للأستاذ المحقق ألا يميز طبعته بهذا الشعار الجديد ، ويحتفظ بالتسمية القديمة : «طبقات الشعراء» ( تراث الإنسانية ، المجلد الأول ص : ٦٥٩ ) .

ومعذرة إلى الأستاذين الجليين ، إذ خالفت ما آثرا من الرأي ، مرّة

أخرى ، لا لأني غير مقتنع بما ذكرنا من الحجّة على فساد رأبي وقبح جرائي بل لأنّ مصوّرة « المخطوطة » قد فصلت ما بيني وبينهما ، وكنت قد قلت في مقدمة الطبعة السالفة ، حين ذكرت أسباب عدوّلى عن تسمية الكتاب : « طبقات الشعراء » ، ما نصه : « وآخرها : أنّي رأيت على نسختي التي نقلتها بيدي هذا العنوان : « طبقات فحول الشعراء » ، فلست أدري بعد هذا الزمن الطويل ، أكانت هذه الكلمة في الأمّ العتيقة ، ثم نقلتها كما هي ؟ أم تراني كتبتها من عندي ؟ وأنا أرجح الأوّل ، لأنني كنت يومئذ صغيراً لم أتجاوز السابعة عشرة من عمري ، ولأنني كنت يومئذ في أوّل الطلّب ، وأجهل من أن أنظر نظراً صحيحاً في مثل هذا الأمر الدقيق ، المحتاج إلى التمييز والبصر . »

فالآن ، وقد ظفرت بمصوّرة من المخطوطة ، ونشرت صورتها في أوّل الأوراق المصوّرة بعد هذه المقدمة ، أجد أنّ الفصل في القضية لا يحتاج إلى برهان أدعيه على رأي أراه استنباطاً ، بل ما في « المخطوطة » هو الفيصل . وكنت أتمنى أن تكون « المخطوطة » تحت يدي ، لأن معاينتها تكون أدق وأوضح ، والتصوير يخفي بعض ملامح الحروف ، ومع ذلك ، فإن عنوان الكتاب في المصوّرة التي عندي ، فيه وضوح كافٍ ، سأصفه بقدر ما أستطيع من الدقة . وقد رأيت على عنوان الكتاب تلميحاً أسود أخفى الباء والألف والتاء من لفظ « كتاب » ، وبقي واضحاً بعده أطاء والباء والقاف والألف من لفظ « طبقات » ، ثم جاء نحو « فأخفي جزءاً من تاء « طبقات » ، وبقيت نقطتا التاء ظاهرتين ، وفوق ألف « طبقات » رأس فاء جليلة واضحة ، وما بعدها ممحوّ ، ثم يظهر بعد النحو حوض اللأم الممدود هكذا « — » ، وفوق هذا الحوض ظهرت الشين والعين والراء والألف ، من لفظ « الشعراء » . فيكون بيننا بعد هذا الوصف أن تقرأ ما في المصوّرة : « طبقات فحول الشعراء » . وأكاد أقطع اليوم أنّي

قرأتها كذلك ، لما كانت المخطوطة نفسها في حوزتي سنة ١٩٢٥ م ، وأنى لم أكتب على نسختي التي نقلتها بيدي لفظ « طبقات فحول الشعراء » ، إلا استناداً إلى وضوحها في المخطوطة ، لأنى بيقين كنت يومئذٍ صغيراً لا أحسن الاجتهاد في الرأى ، وأجهل من أن أنظر نظراً صحيحاً في أمر تغيير تسمية الكتاب .

والذى يدلُّ على أن هذه التسمية ، هى التى اختارها محمد بن سلام لكتابه ، دون تسمية « طبقات الشعراء » ، أن ابن سلام كان من أهل جيلٍ يحسنون اختيار ألفاظهم للدلالة على معانيهم ومقاصدهم ، لا يعمدون إلى اختيار ألفاظ الثناء ليضموها في غير موضعها . ثم إن ابن سلام نفسه ، قد بين في مقدمة كتابه ما يعنيه في تأليف كتابه ، فقال :

« ذكرنا العربَ وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها ... فاقصرنا من ذلك على ما لا يحمله عالمٌ ، ولا يستغنى عن علمه ناظرٌ في أمر العرب ، فبدأنا بالشعر (س : ٣) . ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمختصرين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام ، فنزلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء ... فاقصرنا من المحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألقنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهطٍ لكل طبقة ، متكافئين معتدلين (س : ٢٣ ، ٢٤) . ثم إننا اقتصرنا — بعد الفحص والنظر ، والرواية عمّن مضى من أهل العلم — إلى رهطٍ أربعة ، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة ، ثم اختلفوا بعد . وسنسوق اختلافهم واتفاقهم ، ونسئ الاربعة ، ونذكر الحجّة لكل واحد منهم — وليس تبدلتنا أحدهم في الكتاب فتحكم

له ، ولا بُدَّ من مُبتدأ — ونذكر من شعرهم الأبيات التي تكون في الحديث والمعنى (س : ٤٩ ، ٥٠) .»

ويبين من سياق أبي عبد الله محمد بن سلام ، أنه نظر في الشعراء المشهورين المعروفين من أهل الجاهلية والإسلام والمنضمرين ، فاقنصر على ما لا يجمله عالم بأمر العرب ، فنزلهم منازلهم . ثم عاد مرةً أخرى فاصطفى من الشعراء المشهورين المعروفين الفُحول منهم . ثم عاد مرةً ثالثةً ، فاصطفى من هؤلاء الفحول أربعين شاعراً في الجاهلية ، وأربعين شاعراً في الإسلام . ثم عاد مرةً رابعةً فنظر في شعر الأربعين من الفحول ، فاتمى في تمييز شعرهم إلى عشرة ضروب أو مناهج ، سماها « طبقات » ، ثم عاد مرةً خامسةً فألف من تشابه شعره منهم ، بعد الفحص والرواية عن مضي من أهل العلم أنهم أشعر العرب طبقةً ، فجعل كلَّ أربعةٍ منهم طبقةً متكافئين معتدلين ، ونبه على أن تقديمه اسم واحدٍ منهم على صاحبه ، ليس حكماً له بالتقدم على من يليه في طبقته ، فهم جميعاً سواه ، ولكن لا مناص من أن يتبدى بأحد هؤلاء الأربعة ، فابتدأ به غير مقدم له على أصحابه . وهذا الاحتراس وحده دليل على شدة التحرج في أمر هؤلاء الشعراء ، وهو لا يتحرج هذا التحرج ، إلا إذا كان هؤلاء الشعراء صفةً تميزهم عن سائر شعراء العرب . وهذه الصفة ، ولا ريب ، هي أنهم فحول طبقتهم في طبقات الشعر التي أشار إليها . هذه واحدة .

ثم إنني رأيت أبا الفرج الأصبهاني ( ٢٨٤ — ٣٥٦هـ ) ، وهو أقدم من ذكر كتاب ابن سلام ، وكان أخذ الكتاب رواية وإجازة عن أبي خليفة الفضل ابن الحباب ( ٠٠٠ — ٣٠٥هـ ) ، وهو ابن أخت أبي عبد الله ابن سلام

(١) انظر آخر « نابة طبقات الكتاب » وما قلته في لفظ « طبقة » و « طبقات » .

( ١٣٩ - ٥٢٣١ هـ ) ، وهو راوى كتابه — قد أكثر النقل عن كتاب ابن سلام ، ولكنه لم يذكر اسمه قط ،<sup>(١)</sup> إلا أنه قال في موضع واحد : « ذكر محمد بن سلام في « كتاب الطبقات » ، فيما أخبرنا به أبو خليفة » ( الأغاني ١٢ : ٣٤٠ ، الدار ) ، وهذا لفظٌ مُبهم لا يدلُّ على شيء . ثم رأيتُه قال في ترجمة الخجل السعدى ( ١٣ : ١٨٩ ، الدار ) : « وذكره ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء » ، وقال في ترجمة عبيد بن الأبرص ( ١٩ : ٨٤ ساسى ) : « وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية » .

وهذان نصان وانحنا الدلالة على أن « كتاب الطبقات » ، الذى ذكره مبهمًا فى النصّ الأول ، هو فى شأن « فحول الشعراء » خاصة . وإذا لم يكن هذا الأمر وانحنا عند أبى الفرج ، من تسمية الكتاب كما رواه عن أبى خليفة ، ومن موضوع الكتاب كما ذكره ابن سلام ، فى مقدمته ، لم يكن لإصراره على ذكر لفظ « فحول » فى هذين الموضوعين معنى يستفاد . وإذا كان هذا صحيحًا ، وهو صحيح إن شاء الله ، فإن نسخة أبى الفرج التى أجازها بروايتها أبو خليفة ، كان عنوانها بالارىب : « طبقات فحول الشعراء » ، وكان ذلك هو الاسم الذى اختاره ابن سلام لكتابه ودلت عليه نسخة مخطوطتنا ، وهى نسخة عتيقة كما سترى فيما بعد .

هذا ، فضلًا عن أن اسم « طبقات الشعراء » ، كما عرّف بذلك عند المتأخرين اختصارًا ، لا يتطابق كتاب ابن سلام ككلّ المطابقة ، فإنه لم يستوف فيه ذكر « الشعراء » ، بل اختار عددًا معلومًا : أربعين شاعرًا فى طبقات الشعراء الجاهليين ، وأربعين شاعرًا فى طبقات الإسلام ، وأربعة شعراء فى طبقة أصحاب المراثى .

(١) أما فى جميع المواضع الأخرى التى نقل فيها عن ابن سلام ، فإن أبى الفرج ، ذكر إسناد روايته عن أبى خليفة ، كما سترى ذلك فى « بابه نسخة أبى الفرج الأصبهاني من كتاب الطبقات » ، حيث ذكرت أسانيد أبى الفرج فى أغانيه .

واثنين وعشرين شاعراً في طبقة شعراء القرى العربية ، وثمانية في طبقة شعراء يهود ، فهم جميعاً ١١٤ شاعراً وحسب . والذي أغفله من كبار الشعراء أضعاف أضعاف ما ذكر ، وإذن فاسم « طبقات الشعراء » ثوبٌ فضفاضٌ لا يطابق ما في كتابه ، وإنما هو اختصارٌ ممن ذكره بهذا الاسم ، على الأرجح . فبدليل العقل ودليل النقل وجب أن يكون اسم الكتاب : « طبقات فحول الشعراء » ، والحمد لله رب العالمين .

\*\*\*